بقية القصة

كـلّا ولا لـغـة لـه إلا الـذي
قـد جـال في عينيـك أو عينيّـا
أو لفظة جمدت على شفتيكِ من
فـزَع كمـا مـاتت على شفـتيّـا
أو حسـرة مني إليـك وحسـرة
مـرتـدة مـن نـاظـريـك إليّـا

* * *

لا أنـت نـائـيـةٌ ولا أنـا نـاء
إني لـديـك مقيَّـدٌ بـوفـائي
بعض الهـوى يُسدى كمنَّة منعمٍ
وجـمـيـلةُ دَيـنٌ رهـيـن قـضـاءِ
ويقـلُّ عمـرُ الـدهـرِ تـوفيَـةً لمـا
أسـدَيتِـهِ بجـمـالـكِ الـوضَّـاءِ
عُمـر الزمـانِ فِدىً لسـاعـة ملتقى
سمحت بهـا الأقـدارُ ذات مسـاءِ

* * *

أنتِ التي علمتِني معـنى الـحيـا
ة حـبـيـبـةً ونـجـيَّـةً وصـديـقـا
أنكـرتُ معنـاهـا بغيـركِ واستـوت
وتشـابهـت سعـة عـليَّ وضيـقـا
ووددت لـو غـالَ الخـلائقَ غـائـلٌ
مفنٍ أو اشتعـل الصبـاحُ حـريقـا
وسلمتِ أنتِ فـأنتِ أدنـاهم إلى
روحي وأبعـدهم عليَّ طـريقـا!

* * *

لا تسـأليني عن غـدٍ لا تسـألي
فغـداً أعـود كمـا بـدأتُ غـريبـا
هتـك الستـار مقنَّـع حسنـاتـه
يخفـين خـلف ريـائهـن الـذِّيبـا
كـان التـلاقي بيـننـا كفَّـارة
لـلدهـر عـن آثـامـه لـيتـوبـا
فلتـذهب الحسنـاتُ غير كـريمـة
سـأعُـدُّهُنَّ على المتـاب ذنـوبـا!

* * *

أرنـو وحيـداً للمكـان الخـالـي
كـأسي وكـأسـك فـارغـان حِيـالي
مـرَّ المسـاء مـخيَّبـا فتسـاءلا
وتلفَّتـا لـكِ في المسـاء التـالي
حـتى إذا مـلاَّ تـرقُّب عـائـد
يُحـيـي ويـبـعـث ميّـت الآمـال
بَكيـاكِ بـالحبَب الحـزين وربمـا
بكت الكؤوسُ على النديم السالي!

* * *

أرنـو إلى الصهبـاء غـام شعـاعُهـا
وامتـد نحـو النفس ظـل جنـابهـا
وكـأنمـا روحي هنـاك حبيسـةٌ
تـطفو وتـرسب في خطوط حَبـابها
وكـأن راهبـة هنـاك سـجيـنـةٌ
مغمـورة بـدمـوعهـا وعـذابهـا
ظلّت تقيم على الشمـوع صلاتهـا
حتى تـلاشى النـور في محـرابهـا

* * *

كم ذكـريـات في الحيـاة عـزيـزة
مـرَّت عـليَّ فـكـنـتِ أغـلاهـنَّ
حتى إذا عفتِ الصبـابـةُ وانقضى
مـا بـيـنـنـا أقـبـلت أسـألـهـنَّ
وسألت عنك العمـر ماضيـه وحـا
ضـره فكـان العـمـر أنتِ وهـنَّ
والله مـا غـدَر الـزمـانُ وإنمـا
هـانت عليـكِ الـذكـريـاتُ وهُنَّا!

* * *

يـا زهـرة عـذراء تنشـرُ عـطرَهـا
وتذيعُ في جفن الضُّحى أحـلامها
لاقيتُهـا والـريـحُ تجمـعُ شملَهـا
والسُّحْبُ تجمـع بـرقَهـا وغمـامَهـا
عـانقتهـا ظمـآن أشـربُ راحهـا
واستقـطرتْ قلبي لتملأَ جـامَهـا
فـإذا الريـاح نـزعنهـا عن خـافقي
ضمَّت على أنفـاسـه أكمـامَهـا

* * *

حلم كمـا لمـع الشهـابُ تـوارى
سـدلت عليـه يـد الـزمـان ستـارا
وحبيس شجـوٍ في دمي أطلقتـه
مـتـدفـقـاً ودعَـوتُـه أشـعـارا
ووديعـة رجعت فمـا خـطبي إذا
رُدَّ الـذي كـان الـزمـانُ أعـارا؟!
قد كان قلباً فاستحال على المدى
لـحنـاً تـنـاقله الـرواةُ فـسـارا!

* * *

يا حِصنيَ الغالي فقدتُكِ وانطوى
ركني وأقفر موئلي وملاذي
نعطي أخذ في الحديث ومقلتي
مسحورةٌ بجمالك الأخَّاذِ
والدهر يغريني فأُعرض لاهياً
فيظل يفتنُني بتلك وهذي
والدهر يَهزل والغرام يجدُّ بي
ما كنتِ ساخرة ولا أنا هاذي

* * *

هل كان عهدَكِ قبل تشتيت النوى
إلا مخالسة الخيال الطارقِ؟
إشراقة وطغى عليها مَغرب
غيران يخطفها كخطف السارقِ
أو لمعةٌ لم تتئدْ ذهبتْ بها
دكناء مدَّتْ كفها من حالقِ
وكأن ثغرَكِ والنوى تعدو بنا
شفقٌ يلوحُ على نضيد زنابقِ

* * *

شفتاكِ في لجِّ الخواطر لاحَتا
كالشَّاطئين وراءَ لُجٍّ ثائر
لهما إذا التقتا على أغرُودةٍ
خرساء في ظلِّ الجمالِ الساحرِ
إسعادُ ملهوفٍ ونجدةُ غارقٍ
وعناقُ أحبابٍ وعَودُ مسافرِ
وبراءةُ الملكِ المتوجِ حُسنه
بجمالِ رحمنٍ وطيبةِ غافرِ

* * *

صحب الحياة فآده استصحابُها
ركبٌ على طرقِ الحياةِ كليلُ
خدعت ضلالاتُ الحياةِ تبيعَها
والدربُ وعرٌ والطريقُ طويل
فتلفَّتَ الساري لعلّ لعينه
يبدو صباحٌ أو يلوحُ دليل
فبدا له نورٌ وأشرق منزلٌ
أَلِقٌ ورفت جنةٌ وخميل

* * *

لكِ في خيالي روضةٌ فينانةٌ
غنّى على أغصانِها شاديها
يحمي مغارسَها ويرعى نبتها
راعٍ يجنِّبُها البلى ويقيها
فإذا النوى طالت عليَّ وشفَّني
جرحي وعاد لمهجتي يدميها
نسق الخيالُ زهورَها وورودَها
فقطفتُها وشممتُ عطرَكِ فيها!

* * *

بعض الهوى فيه الدمارُ وإنما
بعض النفوس على الدمار حراصُ
فيكون فيه القيد وهو تحرّرَ
ويكون فيه الموت وهو خلاصُ
آمنت بالحب القوي وحتمه
ما من هوايَ ولا هواكِ مناص
إن كان داءً فالسقامُ دواؤَه
أو كان ذنباً فالمآب قصاص!

* * *

أصبحتُ والدنيا وداع أحبَّةٍ
ودموع خلّان وحزن رفاقِ
فسخرْتُ من صرخاتِهم وبكائهم
لا دمع إلا الدمع في أحداقي
لا صوت إلا صوت حبك في دمي
أُصغي له وأراه في أطواقي
متدفقاً مثل العُباب ومزبداً
متفجراً كالسيل في أعماقي!

* * *

ساهراتُ أحلامَ الظلامِ وكلها
أشباحُ هجر أو طيوف وداعِ
مرّت مواكبُه عليَّ بطيئةً
وإلى الفناء مشينَ جِدَّ سِراعِ
حتى إذا سَفكَ الصباحُ دماءَهُ
وهوى قتيلُ الليلِ بعد صِراعِ
أبصرتُ في المرآة آخرَ قصتي
ونَعى بها نفسي إليَّ الناعي!

* * *

يا ربِّ أرسلتَ الأشعَّةَ ها هنا
وهناك تشرقُ في الحمى والدُّورِ
ومن الشموسِ دفينةٌ في خاطري
مخبوءةُ الأضواء طيَّ شعوري
وأُحِسُّ في نفسي نقاءَ سمائِها
أصفى برونقِها من البَلُّورِ
يا ربِّ أودعتَ الضحى في مهجتي
وأنا الذي أشقى بهذا النورِ!

* * *